

الاستقلال الفكري   
عند الزلمي

تأليف

أ.د. هيثم عبدالسلام محمد

الجامعة العراقية- كلية العلوم الاسلامية

1443هـ - 2021م

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين:

أما بعد:

فإن علماء هذه الأمة مصابيح الدجى، ومنارة العلم المنيف، بهم يدحض الباطل، ويبصر الجاهل، وينافح عن الإسلام، وقد هيئ الله تعالى للإسلام علماء أفذاذاً على مدار التاريخ أخذوا على عاتقهم سبر غور تعاليم الإسلام لإظهاره بما يفهمه أهل عصره وبشكل واضح ومعتدل وبعيداً عن الغلو والتفريط، وقد قيض الله تعالى لهذا الزمان العلامة الدكتور مصطفى الزلمي رحمه الله تعالى قضى عمره المديد كله بين العلم والعلماء متعلم وعالماً ومؤلفاً، وقد حباه الله تعالى بعقلية علمية تدرك المسائل العويصة وله المقدرة على الموازنة ونقد أقوال السابقين من العلماء، وقد أحببت فيه هذه الخصال، لذلك عزمت على أن أوضح هذا الأمر بشخصيته.

وقد قمت بتقسيم البحث على ثلاثة مباحث وهي:

**المبحث الأول:** حياته والمرتبة العلمية التي وصل اليها.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: موجز عن حياته العلمية والشخصية.

المطلب الثاني: لماذا الاستقلال الفكري وليس الاجتهاد.

**المبحث الثاني:** أسباب الاستقلال الفكري.

وكانت تلك الأسباب كما نرى هي:

1. حدة الذكاء والحافظة.
2. الاعداد العلمي الرصين.
3. الاعتداد بالنفس من غير غرور أو تعالي.

**المبحث الثالث:** نماذج تطبيقية من الاستقلال الفكري. ومن خلال التتبع في كتبه وجدت أن محاور الاستقلال هي:

**المحور الأول:** الانفرادات في الآراء.

**المحور الثاني:** مخالفة السابقين وبيان خطئ قولهم.

**المحور الثالث:** انتهاج طرق علمية للوصول إلى الحكم الشرعي تختلف عما مألوف لدى العلماء.

**ثم الخاتمة: بينت فيها اهم نتائج البحث .**

من خلال هذا البحث سوف تلمس عزيز القارئ مفتاح شخصية الزلمي وما الذي ميزه عن أقرانه انه الاستقلال الفكري فليس تابعاً أو مقلداً لأحد، وإنما يسير بترو وهدى وبصيرة من أمره.

وختاماً فلا ندعي الكمال في العمل ولكننا قد بذلنا جهدنا من أجل إظهار مكانة علم من أعلام العراق وبيان فضله على العلم والعلماء، وكلنا أمل أن نكون وفقنا ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، والحمد لله أولاً وآخراً.

# المبحث الأول حياته والمرتبة العلمية التي وصل إليها

ويتكون من مطلبين:

## المطلب الأول: موجز عن حياته العلمية والشخصية.

لست بصدد تتبع الحياة العلمية والشخصية للأستاذ الزلمي رحمه الله فهي مسطورة ومكتوبة بأدق التفاصيل، ولكني سأقف عند أهم المراحل من حياته التي ساهمت في بنائه العلمي والفكري، وهذه الوقفات لها دور كبير في اثراء بحثنا فنقول وبالله التوفيق.

### اسمه وولادته:

مصطفى إبراهيم محمد أمين المتولي، ولد سنة 1924م في وادي زلم بالسليمانية.

### طلبه للعلم:

تتلمذ رحمه الله تعالى على عدد محدود من العلماء وهم؛ في العراق:

1. الشيخ حسن الأباعبيدي ودرس على يديه النحو.
2. الشيخ الصاحب الطويلي ودرس عليه البحث والمناظرة.
3. الشيخ عبد الكريم المدرس ودرس عليه علم البلاغة.
4. الشيخ نور الدين وحصل منه على الإجازة العلمية في العلوم الإسلامية العقلية والنقلية.

وفي إيران:

1. الشيخ عبد القادر الدكاكايي ودرس عليه العقائد والأصول.
2. الشيخ زادة المعروف بالكلمبوي ودرس عليه المنطق والأصول.([[1]](#footnote-1))

### الشهادات العلمية من الجامعات:

1. البكالوريس في القانون من جامعة بغداد سنة 1965م.
2. ماجستير في الشريعة الإسلامية / جامعة بغداد سنة 1969م.
3. ماجستير في الفقه المقارن / جامعة الأزهر 1971م.
4. ماجستير في القانون / جامعة القاهرة سنة 1973م.
5. دكتوراة في الفقه المقارن بمرتبة الشرف / جامعة الأزهر 1975م.
6. دكتوراة في القانون بتقدير الامتياز / جامعة بغداد سنة 2005م.([[2]](#footnote-2))

### الألقاب العلمية:

1. لقب الأستاذ المتميز في جامعة بغداد سنة 1985م.
2. لقب الأستاذية جامعة بغداد سنة 1987م.
3. لقب الأستاذ المتمرس / جامعة بغداد 1990م.

### مؤلفاته:

له أكثر من «50» مؤلفاً، وطبعت على شكل مجموعة متكاملة تحت عنوان «الكامل للزلمي في الشريعة والقانون» في «24» مجلداً، وسنذكر أهمها:

1. أصول الفقه في نسيجه الجديد، طبع عدة مرات وبين يدي نسخة مكتوباً عليها «الطبعة الثانية والعشرون» في سنة 2010م.
2. أحكام الزواج والطلاق في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بالقانون.
3. أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية.
4. موانع المسؤولية الجزائية في الشريعة الإسلامية والتشريعات الجزائية العربية.
5. الالتزامات في ضوء المنطق والفلسفة.([[3]](#footnote-3))

### البحوث المنشورة:

وهي كثيرة جداً وله أكثر من 40 بحثاً علمياً نذكر أهمها:

1. التنمية الاجتماعية في الشريعة الإسلامية، بحث ألقي في مشاركة مؤتمر علماء الاجتماع العربي 1980م في بغداد منشور في مجلة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
2. مبدأ الشريعة. منشور في مجلة القانون المقارن كلية القانون جامعة بغداد.
3. أساس المسؤولية الجنائية، منشور في مجلة القانون المقارن.([[4]](#footnote-4))

### وفاته:

توفي سنة 2016م رحمه الله تعالى، فقضى عمره المبارك طالباً ومتعلماً ومعلماً ومؤلفاً وباحثاً في علوم ومعارف مختلفة.

## المطلب الثاني: لماذا الاستقلال وليس الاجتهاد.

لا شك أن من يقرأ عنوان «الاستقلال الفكري» يرى أنه على غير ما درج عليه علماء الشريعة الإسلامية من مصطلحات كالامام او الفقيه او الاصولي و قد يرى البعض الاخر أن الزلمي رحمه الله تعالى قد امتلك أدوات الاجتهاد، فلماذا لا يوصف بالمجتهد؟ ولماذا العدول إلى الاستقلال الفكري! وأرى لزاماً عليَّ أن أوضح سبب ذلك ولكن قبل ذلك دعني أذكر شروط الاجتهاد عند الزلمي رحمه الله تعالى.

وقد ذكر شروط الاجتهاد عدة مرات في كتبه وآخرها –كما أظن- في كتابه «ختان الإناث» وهي:

1. أن يكون ملماً بمقاصد الشريعة الإسلامية على وجه الحقيقة والواقع.
2. أن يكون عالماً بمتطلبات ومستلزمات الحياة في زمانه ومكانه لأن الأحكام تتغير بتغير الزمان.
3. أن يكون محيطاً بالصلة بين مقاصد الشريعة وكنه الحياة ومستلزماتها.
4. أن يكون ملماً بالعلوم الآلية وهي الفلسفة والمنطق وأصول الفقه وقواعد اللغة.

فكل من تتوافر فيه هذه الشروط له أهلية الاجتهاد.([[5]](#footnote-5))

في حين ذكر شروط الاجتهاد في كتابه «المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية في نمط جديد»([[6]](#footnote-6)) سبعة شروط، وفي كتابه «أصول الفقه في نسيجه الجديد»([[7]](#footnote-7)) ثمانية شروط([[8]](#footnote-8)).

وهذه الشروط تنطبق كاملاً على أستاذنا رحمه الله تعالى وكل من يقرأها لا يختلف معناعلى أن أستاذنا قد امتلكها وأزيد من ذلك، ولكن حال دون وصفي للأستاذ بالمجتهد سببين وهما:

1. أن الأستاذ الزلمي رحمه الله من أدبه وتواضعه كان لا يعد نفسه قد بلغ رتبة الاجتهاد رحمه الله بل هو ناقد للآراء ومستنتج منها ما هو نافع ومتلائم مع عصرنا الحاضر قال رحمه الله تعالى «ولم أكن من أهل الاجتهاد وإبداء الآراء الجديدة ولكني حاولت أن أستنتج من الثروة العلمية للسلف الصالح من الفقهاء وعلماء القانون»([[9]](#footnote-9)) وقال في مكان آخر «ولا أدعي الوصول إلى مرتبة التمييز بين الصواب والخطأ في كلام كبار العلماء»([[10]](#footnote-10)) فإذا كان لم يصل إلى مرتبة معرفة الصواب من الخطأ في كلام العلماء فهو عن مرتبة الاجتهاد أبعد. وتأدباً مع رغبة أستاذنا ووقوفاً عند قوله تحاشينا أن نطلق عليه صفة الاجتهاد.
2. ما زال التحسس كبيراً لدى علماء وفقهاء عصرنا من إطلاق لقب المجتهد على العلماء الذين وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد خوفاً من نقد عوام الناس والجهال.

لهذا السببين عدلنا عن وصف الأستاذ بالمجتهد إلى الاستقلال الفكري وإلا فإنا أستاذنا قد بلغ رتبة الاجتهاد([[11]](#footnote-11)) بأصول الفقه والفقه فهو يتخير من بين آراء الفقهاء، ويستدرك ويخطئ أقوالهم رحمه الله تعالى.

# المبحث الثاني أسباب الاستقلال الفكري

لابد لأي شخصية علمية ومعرفية يكتب لها الشهرة والمكانة الواسعة بين العلماء و الناس ان يكون لها نتاج معرفي ثر ويتمتع بعلم غزير وذلك لايكون الا لمن يمتلك صفات وقدرات جعلت منه علامة بارزة، وقد تضافرت صفات ومؤهلات لدى أستاذنا الزلمي كثيرة نحاول هنا تلمسها لنعرف سر نجاحه وعلو كعبه بين العلماء وهي:

1. حدة الذكاء أو الحافظة.

إن خصلة الذكاء من شروط طالب العلم النجيب «هذه الحافظة هي الأساس لكل علم ونظر، فلا بد لأهل العلم أن تكون عندهم طائفة حفظوها يبنون عليها، ويستنبطون منها، وأن العلماء بالنفس في عصرنا الحاضر، كما كان الناس في الغابر يردون عناصر الذكاء إلى الذاكرة المدركة والحافظة الواعية، والبديهة الحاضرة التي تثير المعلومات التي حفظت في أوقاتها المناسبة».([[12]](#footnote-12))

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في فضائل الذكاء: «يحتاج طالب العلم إلى ثلاث خصال: أولها طول العمر، والثانية: سعة اليد، والثالثة: الذكاء»([[13]](#footnote-13)) وقد جمع هذه الخلال أستاذنا الزلمي فقضى عمره المديد المبارك بالعلم وآثاره على كل عمل وقد حباه الله تعالى بقدر وفير من الذكاء وقوة الحافظة بل متعه الله بذاكرته إلى وفاته دون أن يعتريها الضعف أو الخلط وبقي إلى آخر أيام حياته يكتب ويؤلف، فهل يوجد دليل أقوى من ذلك على ذكائه وحسن تدبيره لوقته.

إن المؤلفات الغزيرة لأستاذنا وبشتى المعارف الصعبة التي لا يحسنها إلا قلة من العلماء لهي دليل على نباهته وحفظه فضلاً عن أن رحمه الله تعالى عرف عنه حفظه للمتون عند طلبه للعلم وبقيت عالقة في ذهنه ولا ريب أن من يكتب هذه الكتب الغزيرة يحتاج إلى ذاكرة تسعفه بالوصول إلى المصادر المختلفة وحسن ترتيب وتبويب مصنفاته تدل على فرط ذكائه.

1. الاعداد العلمي الرصين:

من السمات التي جعلت منه علم من أعلام الفقه والقانون هو ذلك الإعداد العلمي المتواصل والمتنوع، فقد درس على أيدي عدد من الشيوخ الكرام وتلقى العلم على أيديهم، ثم درس في المدارس والجامعات وبالتأكيد يكون قد تأثر بالعديد من الأساتذة الذين درسوه في الجامعات وقد اختلفت دراسته الجامعية ما بين نوعين شرعية وقانونية ونال بهما درجة الدكتوراة وقد ذكرنا ذلك آنفاً، وكل ذلك أسهم بإعداده بشكل متميز وفريد، فهو يعد من الذين جمعوا بين دراسة الجامع والجامعة أو بين الدراسة الملائية والأكاديمية فاستفاد من محاسنهما وترك ما يعاب عليهما، فهو يعيب على الدراسة الملائية اهتمامها الزائد والمبالغ بالعلوم الآلية من دون استخدامها فيما وضعت له فيقول: «لا يزال يتردد في ذاكرتي القول الحكيم الذي قاله لي في سنة 1947م أحد رؤساء عشائر بشدر وهو شبهُ أمي حضر مدرستي ضيفاً واستمع إلى درسي كنت أدرس مادة المنطق، قال أيها المشايخ أنتم تبذلون الجهود كل حياتكم في سبيل صنع مفتاح لفتح باب، ثم تضيع جهودكم هذه وينتهي عمركم قبل أن تفتحوه. كان يقصد بالمفتاح العلوم الإسلامية الآلية التي تستخدم في استنباط الأحكام وبالباب باب القرآن الكريم مصدر الأحكام»([[14]](#footnote-14)).

وأخذ على دراسة الجامعات السطحية وعدم قدرتها على البناء العلمي للطلاب يقول رحمه الله تعالى «من الواضح أن الدراسة في هذه المراحل الأولية في كليات القانون غالباً تكون نظرية محضة وقد تكون سطحية يعتمد فيها الطالب على حفظ الألفاظ عن الدخول في عمق معانيها فلا يكتسب عقلية قانونية أو ذهنية فقهية»([[15]](#footnote-15)) ويقول في مكان آخر «وقد مارست التدريس في المعهد القضائي القائم سبع سنوات فوجدت أنه لا يحقق الأهلية المكتسبة الكافية لتولي منصب القضاء الذي هو أخطر المناصب»([[16]](#footnote-16))

وإذا كانت الدراسة الملائية والأكاديمية لها تلك المآخذ عنده فكيف بنى نفسه علمياً حتى أصبح طوداً معرفياً شامخاً؟ إننا نرى أن موجهه الأكبر من نفسه، ورغبته الجامحة في طلب العلم ونمتها الدراسات الشخصية والاطلاع على العلوم المختلفة مع إخلاص لله في طلب العلم حتى آتاه الله بسطة في العلم.

1. الاعتداد بالنفس من غير غرور أو تعالي.

جبلت النفوس الكبار على الاعتداد بنفسها والإيمان بآرائها وطرحها من غير خوف أو وجل، حتى وإن خالفت جمهور الناس، وهذه السجية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار عند أستاذنا رحمه الله فهو ينتقد ويرد ويخالف السابقين والآخرين ويعلن عن ذلك إذا ما وصل إليه اجتهاده، فلا يهمه كثرة المخالفين أو شدة المعترضين ولا يثنيه قول قال مهما كان عن ابداء رأيه، فعلى ذلك نشأ وعليه تربى، لذلك فهو لا يقلد في آرائه أحد ولا يتبع اتباع الأعمى السابقين بل يقارن ويوازن ويرجح بين أقوالهم وقد ينفرد بآراء لم يقلها بها أحد من قبوله، وما كان يكره شيئاً مثل كره للتقليد فهو يراه أساس تخلف المسلمين فكيف يرضاه لنفسه؟ قال رحمه الله: «وأهم عوامل هذا التخلف في العالم الثالث وبوجه خاص العالم الإسلامي هو التقليد للغير وتقديس آراء من سبقوهم وبوجه خاص علماء الدين»([[17]](#footnote-17)).

بل إنه جعل من شروط الاجتهاد التي لم أراها عند غيره هي الجرأة في ابداء الرأي قال رحمه الله تعالى من ضمن شروط الاجتهاد «أن يكون جريئاً لا يخشى لومة لائم لأنه يقوم بأداء واجب أوجبه الله عليه في حالة أهليته للاجتهاد»([[18]](#footnote-18)).

وهنا قصة طريفة تؤكد مدى اعتداد الأستاذ الزلمي وثقته بنفسه امام الآخرين، إذ يذكر رحمه الله تعالى أنه دعي إلى مؤتمر في جامعة الزرقاء سنة 2004م حول حقوق الإنسان وكان له بحث عن الرق في الإسلام وهو يرى أن هذا وصمة عار على الفقه الإسلامي ويعلن عن ذلك ويدعوا إلى رفعه من كتب الفقهاء وكان من ضمن الحاضرين الدكتور عبدالكريم زيدان([[19]](#footnote-19)) وهو على النقيض من رأيه فكان بينهما خلاف حول هذا الموضوع منذ زمن وأنقل لك ما ذكره الزلمي بنفسه: «فقال -زيدان- أطلب منك التراجع عن الرأي وأن تستغفر ربك وأنت في أواخر عمرك، فقلت –الزلمي- يا أستاذي لو كان لي ملئ الأرض ذنوب لغفر لي ربي عنها لأني أحاول إزالة آثار هذا الخطأ الذي وقع فيه العالم الإسلامي، وقال –زيدان- إذا يجب حذف الأمثلة بالعبد والجارية في المراجع الفقهية، فقلت يا أستاذي هذه أمنيتي في الحياة ودائما أتمنى أن يستيقظ ضمير أحد حكام الإسلام ويشكل لجنة لحذف هذه الأمثلة البالية وتبديلها بأمثلة أخرى..»([[20]](#footnote-20))

فانظر إلى شدة تمسكه برأيه وثقته على الرغم من مخالفة الآخرين له ولكن هذه الاعتداد بالنفس والثقة بها لا تؤدي به إلى الغرور أو عدم المراجعة للأقوال عندما يرى أنه على خطأ فقد ذكر رجوعه عن أقواله ودون ذلك في كتبه قال رحمه الله تعالى عن الخلع «وقد رجحت في مؤلفي الطلاق في الشريعة والقانون خلال أربعة آلاف سنة عدم جواز الافتداء مطلقاً وزعمت تقليدا للغير ان آية ﭐﱡﭐ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺﲻ ﱠ ([[21]](#footnote-21)) منسوخة بقوله تعالى: ﭐﱡﭐ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍﱎﱠ([[22]](#footnote-22)) وكنت مخطئاً كما أن هذا الترجيح يتعارض مع قولي بعدم النسخ لعدم وجود التعارض بين الآيتين والكمال لله»([[23]](#footnote-23))

هذه الخلال: الذكاء والإعداد العلمي الجيد، والاعتداد بالنفس هي التي كونت منه شخصية فذة وفقيها وقانونياً ألمعياً.

# المبحث الثالث نماذج تطبيقية من الاستقلال الفكري

في هذا المبحث نبرهن ما قلناه سابقاً عن مقدرته العلمية وقدرته على الإبداع والاجتهاد في ميادين العلم والمعرفة ولاسيما الشريعة والقانون، ولو شئت أن أجعل من هذا المبحث كتاباً مستقلاً لفعلت فهي كثيرة وغزيرة ويا حبذا لو ينهض أحد طلاب الدراسات العليا لتتبعها وفرزها لينتفع بها الباحثون.

وقد رأيت أن الإبداع العلمي للأستاذ الزلمي رحمه الله يمكن أن يكون بثلاثة محاور.

## الأول: الانفرادات في الآراء:

ونعني به أن يبدي آراءً لم يسبقه بها أحد، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

1. تقسيم الدلالة عند الأصوليين:

قسم العلماء الدلالة إلى تقسيم رباعي وتزعم هذا الاتجاه الأصوليون من الحنفية، وقسم آخر من العلماء قسموا الدلالة إلى تقسيم ثنائي وتبنى هذا النهج الأصوليون من المتكلمين.

وقسم أستاذنا الزلمي رحمه الله تقسيماً آخر غير مسبوق ولا مألوف لدى العلماء فقال: «المسلك المفيد في دراسة وضوح وخفاء الدلالات هو –التقسيم الثلاثي- الذي استنتجته من الأقسام المذكورة لواضح الدلالة وخفيها وهو التقسيم باعتبار الوضوح والخفاء إلى الدلالة القطعية والظنية والغامضة»([[24]](#footnote-24)).

1. أقسام أحكام القرآن:

جرى العلماء على تقسيم أحكام القرآن على ثلاثة أقسام وهي:

الأحكام الاعتقادية، والأحكام الخلقية، والأحكام العلمية. يقول الزلمي رحمه الله تعالى: «وهذا التقسيم في رأينا المتواضع خاطئ لأن القرآن كله أحكام»([[25]](#footnote-25)).

لذلك ذهب رحمه الله تعالى على تقسيمه خمسة أقسام وهي:  
الأحكام الاعتقادية، الخلقية، العبرية، الكونية، العلمية.

1. جريمة تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة:

حتى لا يظن القارئ أننا نحسن الأمثلة الشرعية فحسب أحببنا أن نذكر مثالاً قانونياً فقد قال رحمه الله تعالى عن هذه الجريمة المنسية: «لم أجد أحداً حسب علمي يطلق على تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة تعبير الجريمة، علماً بأن هذا الإطلاق حقيقة واضحة وضوح الشمس في منتصف النهار لأنه من باب خيانة الأمانة لذا نقترح ادراج هذه الجريمة ضمن الجرائم الأخرى وتحدد لها عقوبة تتلائم مع حجمها».([[26]](#footnote-26))

## الثاني: مخالفة السابقين وبيان خطئ قولهم:

لو لم يكتب الأستاذ رحمه الله تعالى في هذا الباب إلا كتابه «أخطاء أصولية لابن السبكي»([[27]](#footnote-27)) لكان كافيا لبيان فضله وعلو كعبه، فكتبه مليئة بتتبع خطأ السابقين مع بيان وجه الصحة والصواب ولا بأس أن نسوق الأمثلة للتوضيح وليس للحصر وهي:

1. تعريف العام عند الأصوليين:

عرف ابن السبكي العام بأنه «لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر»([[28]](#footnote-28)) قال الزلمي رحمه الله تعالى: «هذا التعريف غير جامع فلا يشمل إلا العام اللغوي والصواب العام هو ما يستغرق الصالح دفعة واحدة لغة أو عرفاً أو عقلاً»([[29]](#footnote-29)).

1. تعريف الحق:

يقول الزلمي رحمه الله تعالى: (لم أجد في المراجع الفقهية والقانونية تعريفاً سليماً للحق وفي رأينا المتواضع «حق الإنسان في الشيء مركز شرعي –قانوني- يبيح له نفعه ويفرض على الغير احترامه»)([[30]](#footnote-30)).

1. لفظ الخمر في القرآن الكريم:

قال رحمه الله تعالى: «وأينما ورد لفظ "الخمر" في القرآن الكريم يراد به معناه اللغوي ومن حمله على المعنى العرفي وقاس عليه سائر المسكرات بجامع الإسكار فقد أخطأ من وجهين..»([[31]](#footnote-31)).

**الثالث: انتهاج طرق علمية للوصول إلى الحكم الشرعي تختلف عما مألوف لدى العلماء.**

قد يتفق الأستاذ الزلمي رحمه الله تعالى في حكم شرعي مع الآخرين ولكنه يسلك في الوصول إليه طرق مختلفة عما هو سائد لدى الفقهاء، وهذا نابع من نظره الثاقب وعمق فهمه لأصول الفقه وسنضرب مثالين نوضح بهما كلامنا:

### المثال الأول: حرمة التدخين.

درج الفقهاء في الآونة الأخيرة على تحريم التدخين ويبنون هذا الحكم على الضرر البدني أو النفسي أو المالي للمدخن والإسلام لا يقر بالضرر والخبائث لذلك فالتدخين محرم.

ففي فتوى لدار الإفتاء المصرية عن حكم التدخين تقول: «حرم الإسلام على الإنسان كل ما يضر بالبدن حسياً أو معنوياً... وقد ثبت طبياً أن التدخين بكل أنواعه مضر بصحة وبد الإنسان فيكون محرماً»([[32]](#footnote-32)).

وفي جواب لسؤال عن حكم شرب الدخان لموقع إسلام ويب كان الجواب: «إن شرب الدخان محرم بالكتاب والسنة لما يترتب عليه من المضار المهلكة والعواقب الوخيمة... ومعلوم لدى كل عاقل أنه لو سئل أي شخص أين يضع الدخان؟ هل يضعه تحت الطيب أم الخبيث؟ لأجاب كل ذي بصيرة أنه من الخبائث»([[33]](#footnote-33)).

ويوافق الأستاذ الزلمي رحمه الله الآخرين على حرمة التدخين ولكنه يسلك مسلكا آخرا للتدليل على ذلك فهو يرى أن حرمة التدخين قطعية ثابتة بالعلة المنصوصة للحكم ففي قوله تعالىﱡﭐ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀﳁ ﱠ([[34]](#footnote-34)).

يقول رحمه الله تعالى عن هذه الآية: **«**لا تدل على تحريم المسكرات فحسب وإنما تدل صراحة على تحريم كل ما يكون ضرره أكثر من نفعه كالتدخين لأن الله لم يجب عن السؤال عن الحكم ببيان الحكم وإنما أجاب بالعلة المنصوصة للحكم حتى يشمل كل ما يكون ضرره أكبر من نفعه ويعطي لعقل الإنسان السليم قاعدة عامة نصية يطبقها في كل شيء يكون ضرره أكثر من نفعه وهذا ليس من باب القياس كما يزعم البعض لأن العلة المنصوصة بمثابة النص الصريح**»([[35]](#footnote-35)).**

**المثال الثاني:** إنهاء الرق في الإٍسلام.

يرى كثير من الدارسين والباحثين([[36]](#footnote-36)) أنه يجوز إلغاء الرق إذا ألغى الآخرون-الكفار- الرق وذلك من قبيل المعاملة بالمثل.

قال الأستاذ علي بابير([[37]](#footnote-37)): «وقد تغيرت الأعراف والعادات السياسية والدولية في أيامنا هذه في التعامل مع أسرى الحرب عموماً... مشجع لتحرير الإنسان وإنهاء الاسترقاق، فتغير الواقع الذي أجبر المسلمين على استرقاق أسرى أعدائهم في الحرب، معاملة بالمثل»([[38]](#footnote-38)).

وقال الشيخ عبد الحي يوسف([[39]](#footnote-39)):

«وقد علم من كلام أهل العلم أن الرق الذي أباحه الإسلام في ذلك الحين كان من باب المعاملة بالمثل للعدو المقاتل فلا مانع أن يحظر في وقت ما من باب المعاملة بالمثل كذلك»([[40]](#footnote-40)).

ويرى الأستاذ الزلمي رحمه الله تعالى أن الرق كان ينبغي أن يستمر لمدة محدودة إلى حين أن تتهيء الظرف ثم يلغى نهائياً يقول رحمه الله تعالى: «أن القران لم يقر الرق ليكون نظاماً مشروعاً مستمراً في كل زمان ومكان كما يزعم بعض من المسلمين المثقفين... وإنما النتيجة الحتمية للطرق الوقائية والعلاجية هي تهيئة الظروف للقضاء عليه إلى الأبد من غير رجعة خلال فترة لا تتجاوز القرن الأول الهجري اعتبارا من تاريخ مكافحة هذه الظاهرة الجرمية»([[41]](#footnote-41)).

أما محاولة البعض الخروج من هذا المأزق عن طريق الدعوة إلى المعاملة بالمثل فيرى أنها غير موفقة وذلك للأسباب الآتية: (لم يقم الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدين ولا قادة المسلمين باسترقاق أي أسير بعد نزول آيةﱡﭐ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﱠ ([[42]](#footnote-42)).

المقابلة بالمثل تكون بين طرفين متكافئين وهذا شرط مفقود لأن أحد الطرفين هو الله وإراداته والطرف الآخر هو العدو المنحرف عن طريق الصواب وإرادته.

اعتبار الرق جريمة في جميع الدساتير والقوانين وإعلانات حقوق الإنسان وحدوثه من قبل الأفراد يعتبر من القرصنة. فأين المثل في عالم غير المسلمين حتى يقابل بالمثل)([[43]](#footnote-43)).

# الخاتمة

بعد هذا الجولة الطيبة المباركة في سيرة أستاذنا الزلمي مع تقليب تراثه الأصولي والفكري، نوجز ما ظهر لنا من دراسته في الأمور الآتية:

1. ولد الأستاذ الزلمي رحمه الله تعالى سنة 1924م بالسليمانية وتلقى العلم منذ نعومة أظفاره إلى أن حاز إجازة في العلوم النقلية والعقلية.
2. انتقل من دراسة الجوامع إلى دراسة الجامعات وحاز الشهادات العليا -الدكتوراة- في الشريعة والقانون.
3. ترك لنا إرثاً فقهياً وأصولياً وقانونياً كبيراً حتى يمكننا القول أنه لا يوجد عالم عراقي ترك بمقدار ما ترك من إرث علمي متنوع.
4. حبا الله تعالى أستاذنا بعدد من الصفات الطيبة مما جعلته يتقدم على أقرانه وأترابه وهي: حدة الذكاء والحفظ، الإعداد العلمي الرصين، الاعتداد بالنفس.
5. بلغ –حسب ما نرى- أستاذنا مرتبة الاجتهاد.
6. تظهر ملامح استقلاله الفكري وعدم تبعيته للغير بشكل واضح من خلال:
7. الانفرادات في الآراء.
8. مخالفة السابقين وبيان خطئ رأيهم.
9. انتهاج طرق علمية للوصول إلى الحكم الشرعي تختلف عما مألوف لدى غيره.
10. توفي رحمه الله تعالى سنة 2016م وقضى عمره الميمون متعلماً ومعلماً ومؤلفاً ومناقشاً وناقداً ومرجحاً بين الآراء.

# المصادر

1. ابن حنبل حياته وعصره – آراؤه وفقهه، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة 2006م.
2. أخطاء أصولية لابن السبكي في كتابه جمع الجوامع، الدكتور مصطفى الزلمي، أربيل، 2010م.
3. أصول الفقه في نسيجه الجديد، الدكتور مصطفى الزلمي، طبعة في مطبعة شهاب – أربيل، ط22، 2010م.
4. التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن، الدكتور مصطفى الزلمي «ضمن مجموعة الكامل» ط1، 2014م – 1435هـ.
5. التدخين أضراره وتحريمه في القرآن، الدكتور مصطفى الزلمي، أربيل، ط2، 2009م.
6. جمع الجوامع في أصول الفقه، للإمام السبكي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ - 2003م.
7. ختان الإناث أضراره وتحريمه في القرآن، الدكتور مصطفى الزلمي، مطبعة شهاب، أربيل، ط1، 2011م.
8. الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي وآراؤه الأصولية والقانونية، تأليف مديحة صالح مهدي، مطبعة الرفاه، ط1، 2013م.
9. الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ط2، 1431هـ.
10. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية في نمط جديد، الدكتور مصطفى الزلمي، أربيل، 2009م.
11. مستنقع العبيد والجواري وتجفيفه في القرآن، الدكتور مصطفى الزلمي "ضمن مجموعة الأبحاث القرآنية للكامل"، ط1، 2014م.
12. معجم لغة الفقهاء، تأليف محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط2، 1988م.
13. معين القضاة لتحقيق العدل والمساواة، الدكتور مصطفى الزلمي، ط1، أربيل، 2008م.
14. موانع المسؤولية الجزائية في الشريعة الإسلامية والتشريعات الجزائية العربية، الدكتور مصطفى الزلمي، طبع في شركة الحسناء، بغداد، ط2.

**المواقع الالكترونية** وهذه المواقع متاحة على شبكة الانترنيت:

1. مقالة الشيخ علي بابير بعنوان «استرقاق الإنسان في العصر جريمة ضد الشريعة الغراء» على صفحته الشخصية «فيسبوك».
2. موقع إسلام ويب، وهو موقع مخصص للإجابة على أسئلة الناس وفق الشريعة الإسلامية.
3. موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.
4. موقع دار الإفتاء المصرية / للفتاوى، فتوى للأستاذ الدكتور علي جمعة محمد عن حكم التدخين.
5. موقع طريق الإسلام، جواب الشيخ عبد الحي يوسف عن سؤال حكم الرق منسوخ.

1. (( الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي وارآؤه الأصولية والقانونية/15. [↑](#footnote-ref-1)
2. (( أصول الفقه في نسيجه الجديد /600. [↑](#footnote-ref-2)
3. (( أصول الفقه في نسيجه الجديد /600. [↑](#footnote-ref-3)
4. (( موانع المسؤولية الجزائية /600، ويا حبذا لو تجمع بحوثه مخافة أن يكون نصيبها النسيان والضياع. [↑](#footnote-ref-4)
5. (( ختان الإناث أضراره وتحريمه في القرآن / ص46. [↑](#footnote-ref-5)
6. (( المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية /61. [↑](#footnote-ref-6)
7. (( أصول الفقه في نسيجه الجديد /588. [↑](#footnote-ref-7)
8. (( ما ذكرته من شروط هي الأصل التي ذكرها أستاذنا في كتبه ويضيف إلى بعضها من قبيل الاطلاع على أقوال المتقدمين من الفقهاء أو عدم التعصب إلى مذهب أو أن يوازن بين النفع والضرر وكلها شروط مكملة لما ذكرناه من شروط رئيسية للاجتهاد، فجوهر شروط الاجتهاد عنده هي التي ذكرتها. [↑](#footnote-ref-8)
9. (( الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي /10. [↑](#footnote-ref-9)
10. (( أخطاء أصولية /4. [↑](#footnote-ref-10)
11. (( في معجم لغة الفقهاء 1/405،  
    المجتهد المطلق: الذي له أصول فقه خاصة به، وقواعد فقهية خاصة به، وتطبيقات فرعية خاصة به.  
    وكلها قد حواها أستاذنا الزلمي رحمه الله تعالى. [↑](#footnote-ref-11)
12. (( ابن حنبل حياته وعصره /67. [↑](#footnote-ref-12)
13. (( الفقيه والمتفقه 2/94.  
    قال الخطيب البغدادي رحمه الله: أما طول العمر فإنما يقصد به دوام الملازمة للعلم وأراد بسعة اليد أن لا يشتغل بالاحتراف وطلب التكسب، فإذا استعمل القناعة أغنته عن كثير من ذلك. وإن رزقه الله تعالى الذكاء فهو أمارة سعادته وسرعة بلوغه إلى بغيته. [↑](#footnote-ref-13)
14. (( أصول الفقه في نسيجه الحديد /594. [↑](#footnote-ref-14)
15. (( معين القضاة /11. [↑](#footnote-ref-15)
16. (( المصدر نفسه /14. [↑](#footnote-ref-16)
17. (( المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية /64. [↑](#footnote-ref-17)
18. (( المصدر نفسه /62. [↑](#footnote-ref-18)
19. (( الدكتور عبد الكريم زيدان العاني ولد ببغداد سنة 1917م طلب العلم منذ صغره في بغداد ثم أكمل دراسته الأولية فيها، نال شهادة الماجستير والدكتوراة من القاهرة، عين أستاذاً في الجامعات العراقية ثم انتقل إلى التدريس باليمن وتوفي بها سنة2014م.  
    موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا على شبكة الانترنيت [↑](#footnote-ref-19)
20. (( انظر للقصة والحوار كاملاً في كتابه: «مستنقع العبيد والجواري وتجفيفه في القرآن» /79. [↑](#footnote-ref-20)
21. (( سورة البقرة آية 229. [↑](#footnote-ref-21)
22. (( سورة النساء آية 20. [↑](#footnote-ref-22)
23. (( التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن /135. [↑](#footnote-ref-23)
24. (( أصول الفقه في نسيجه الجديد /541 وذكر الأسباب الموجبة لهذا التقسيم. [↑](#footnote-ref-24)
25. (( المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية في نمط جديد /9، وشرح هذا التقسيمات بالتفصيل ويمكن الرجوع إليها. [↑](#footnote-ref-25)
26. (( هامش معين القضاة لتحقيق العدل والمساوة /120، ويضرب رحمه الله مثلاً على هذه الجريمة وهو التعيين في الوظائف غير الكفؤ على أساس الحزبية أو المنسوبية أو الوساطات، ولو قدر لهذا القانون أن يرى النور لقضى على كثير من مشاكل الفساد الاداري في بلدنا والعالم الثالث عموما . [↑](#footnote-ref-26)
27. (( وهو كتيب صغير الحجم كبير النفع، حتى إن الأستاذ طه جابر العلواني أثنى عليه وتمنى أن يكون بداية لنقد الموروث من أصول الفقه. أخطاء اصولية، مجموعة الأبحاث القانونية / الكامل ص199. [↑](#footnote-ref-27)
28. (( جمع الجوامع لابن السبكي/138. [↑](#footnote-ref-28)
29. (( أخطاء أصولية /27 وشرح هذا التعريف بشكل كامل ويمكن الرجوع إليه [↑](#footnote-ref-29)
30. (( هامش أصول الفقه في نسيجه الجديد /348. [↑](#footnote-ref-30)
31. (( انظر تفاصيل ذلك في كتابه «موانع المسؤولية الجزائية» /114. [↑](#footnote-ref-31)
32. (( موقع دار الإفتاء المصرية / الفتاوى، والمجيب على الفتوى فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة محمد. والموقع متاح على شبكة الانترنيت. [↑](#footnote-ref-32)
33. (( موقع إسلام ويب، والموقع متاح على شبكة الانترنيت وهو موقع مخصص للإجابة على أسئلة الناس الشرعية. [↑](#footnote-ref-33)
34. (( سورة البقرة آية 219. [↑](#footnote-ref-34)
35. (( التدخين أضراره وتحريمه في القرآن /66، ولأهمية الموضوع أنقل ما ذكره الزلمي رحمه الله تعالى في كتابه موانع المسؤولية الجزائية /117: «فليعلم الناس جميعاً أن التدخين محرم بنص القرآن شأنه شأن الخمر والقمار، فكل رأي بخلاف ذلك يصطدم معه هذا النص القرآني –الآية- لأن هذا الضرر لا يقتصر على نوع واحد أو جانب دون آخر» [↑](#footnote-ref-35)
36. (( وهؤلاء أحسن حالاً من الذين يقولون إن حكم الرق باق إلى قيام الساعة وذكرنا سابقاً رأي الدكتور عبد الكريم زيدان. [↑](#footnote-ref-36)
37. (( الشيخ علي بابير وتمان من مواليد 1961م بالسليمانية وهو الآن أمير الجماعة الإسلامية الكردستانية، له العديد من المؤلفات  
     موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا على شبكة الانترنيت [↑](#footnote-ref-37)
38. (( مقالة للشيخ علي بابير تحت عنوان «استرقاق الإنسان في العصر جريمة ضد الشريعة الغراء» نشرها على صفحته الشخصية «فيسبوك» [↑](#footnote-ref-38)
39. (( الشيخ الدكتور عبد الحي يوسف ويكنى بأبي عمر من مواليد القاهرة سنة 1964م وهو داعية إسلامي سوداني تخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وأتم الدكتوراة في السودان سنة 1998م يعمل الآن عميداً لكلية الدراسات الإسلامية جامعة أفريقيا.  
    موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا على شبكة الانترنيت. [↑](#footnote-ref-39)
40. (( موقع طريق الإسلام متاح على الانترنيت، حول سؤال حكم الرق منسوخ. [↑](#footnote-ref-40)
41. (( مستنقع العبيد والجواري وتجفيفه في القرآن /43. [↑](#footnote-ref-41)
42. (( سورة محمد آية 4. [↑](#footnote-ref-42)
43. (( مستنقع العبيد والجواري، الكامل /15. [↑](#footnote-ref-43)